موسوعة

تفسير سورة يوسف عليه السلام

منهج جديد في التفسير
يجمع بين تأويل السلف المحقق، وتفسير الخلف الموفق

تأليف
عليش متولي بدوي البني

قدم لها:
فضيلة الشيخ الدكتور السيد محمد نوح ، فضيلة الشيخ السيد عبد المقصود محمد عسكر

تحت إشراف
لجنة آسيا بدولة الكويت
وتحدث بلسانها مديرها الدكتور عادل عبد الله الفلاح

طبع على نفقة
وقف المرحوم بدر جاسم النصف غفر الله له

«الباب الأول»

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

2010-06-27
www.tafsir.net
www.almosahm.blogspot.com

موسوعة
تفسير سورة يوسف (عليه السلام)

منهج جديد في التفسير
يجمع بين تأويل السَّلف المحقق، وتفسير الخلف الموفق

تأليف
عليش متولي بدوي البني

قدم لها: فضيلة الشيخ الدكتور سيد محمد نوح،
الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة الكويت -

وفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود محمد عسكر
الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - سابقاً

تحت إشراف
الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - لجنة آسيا بدولة الكويت -
وتحدث بلسانها مديرها **الدكتور عادل عبدالله الفلاح**،
وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت

طبع على نفقة
وقف المرحوم بدر جاسم النصف غفر الله له

« الجزء الأول » (بعد المقدمة)
« الباب الأول »
من أول السورة الكريمة (يوسف)
إلى الآية الثالثة والعشرين

«الإهـــداء»

إلى من أوصانا المولى عز وجل بالإحسان إليهما،

إلى الوالدين أمي وأبي، قال تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»

(الإسراء/ ٢٣)

كلمات من نور...
(عن يوسف - عليه السلام - وقصته)

أولا - من كتاب الله الكريم.

(أ) قال الله تعالى في حق يوسف - عليه السلام -

«إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» (يوسف / ٤)

وقال عز ذكره: «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ» (يوسف ٢١ - ٢٢)

وقال تعالى جده «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» (يوسف / ٢٤)

وقال تباركت أسماؤه: «فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (يوسف / ٣٤)

وقال الرحمن المنان: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (يوسف / ٥٦)

(ب) وقال أبوه يعقوب - عليه السلام - في حقه: «وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (يوسف / ٦)

وقال: «إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون» (يوسف / ١٣)

وقال: «يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» (يوسف / ٨٤)

وقال: «إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ» (يوسف / ٩٤)

(جـ) وقال العزيز في حقه: «أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» (يوسف ٢١)

وقال: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» (يوسف / ٢٩)

(د) وقالت عنه امرأة العزيز: «وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» (يوسف / ٣٢)

وقالت: «الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» (يوسف / ٥١)

(هـ) وقالت عنه النسوة: «فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ» (يوسف / ٣١)

وقلن: «حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ من سُوءٍ» (يوسف / ٥١)

(و) وقال عنه الفتيان «نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (يوسف / ٣٦)

وقال عنه الناجي منهما: «يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ» (يوسف ٤٦)

(ز) وقال عنه الملك: «وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ» (يوسف / ٥٠)

وقال: «وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» (يوسف / ٥٤)

(حـ) وقال إخوته في حقه: «فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (يوسف / ٧٨)

وقالوا: «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» (يوسف / ٨٨)

وقالوا: «تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ» (يوسف / ٩١)

(ط) وقال مؤمن آل فرعون عنه: «وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ من قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ من بَعْدِهِ رَسُولاً» (غافر / ٣٤)

(ي) وقال يوسف عليه السلام - عن نفسه «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي من تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» (يوسف / ١٠١)

ثانيا - من سنة رسول رب العالمين محمد :

قال رسول الله ﷺ :

«إن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» - عليهم الصلاة والسلام -

أخرجه البخاري / ٦ / ٤١٩

وقال خاتم النبيين - ﷺ -

«لو لبثت في ا لسجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي»

رواه البخاري (٤٦٩٤) ومسلم (١٥١ / ٢٣٨)

وقال رحمة الله للعالمين - ﷺ - لما فتح مكة يخاطب قريشاً : ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال : وأنا أقول كما قال أخي يوسف (لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ)

(أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، والبيهقي عن أبي هريرة)

ثالثاً - من كلام العلماء المكرمين:

إن قصة يوسف - عليه السلام - هي القصة الوحيدة في القرآن الكريم التي سُبِقَت بوصف أحسن القصص : «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» (يوسف / ٣)

وبُدئت بوصفها آيات للسائلين : «لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ» (يوسف / ٧) ...

وخُتمت سورتها ببيان ما في قصص الأنبياء والمرسلين من عبر وهدايات : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (يوسف / ١١١)

وهي القصة الوحيدة التي استغرقت سورة طويلة من القرآن الكريم ولم تتكرر في سورة أخرى، وها هي بعض أقوال العلماء عنها :

● إن قصة يوسف - عليه السلام - تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضاً، ومع أن القرآن الكريم واحد في موضوعه وفي أدائه، إلا أن قصة يوسف تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء (سيد قطب / في ظلال القرآن ١ / ٤ / ١٩٥١)

● إن قصة يوسف الصديق - عليه السلام - جمّة الفائدة، وجليلة العائدة، تحدوا بكل امرئ أبيّ إلى الاقتداء بها، فإن من أطلق سوام الفكر في حياة يوسف - عليه السلام - رآها رغيدة وألفاها هنيئة، وما ذلك إلا لطيب سيرته وحميد سريرته، وتمسكه بعري التقوى والفضيلة، ولا سيما فضيلة العفة والطهارة، والتي ترفع قدر صاحبها وتنزله المنزلة السامية، فعلى المرء أن يقتفي أثر هذه الفضيلة الجليلة كيوسف - عليه السلام - فيتسم ذروة المجد في هذه الدنيا، وينال السعادة الدائمة في الآخرة، فأول ما نذكر من هذه السورة أنها مشتملة من آداب الأنبياء، صلوات الله عليهم، ومن آداب الأخلاق، والتمسك بالصبر والحلم، وتوقع الفرج بعد حين، والتشدد في الصبر على المعاصي، واحتمال المكاره، على مالو تأمله القارئ وتمسك بكله أو بعضه، لعظم ذلك في دينه ودنياه. (عماد الدين أبوالحسن عبدالجبار / تنزيه القران عن المطاعن / ١٨٧)

● لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح (ابن عطاء)

● سورة يوسف ومريم مما يتفكّه به أهل الجنة في الجنة (خالد بن معدان)

إن لسورة يوسف موقعاً خاصاً في النفوس، فلطالما اشتاقت إلى سماعها مرة بعد مرة، ولطالما تفتحت القلوب لها، والآذان لنغماتها الحلوة، وإن لها نغماً علوياً خاصا بها، وإنك لتحس فيها بيد القدر الإلهي تحرك الحوادث، ولترى الإنسان يريد ويقدّر، ومن فوقه عناية إلهية غالبة، تبلغ من هذا الإنسان ما تريد لا ما يريد، وتصل بالأمور إلى عواقبها ونهاياتها المرسومة المقدرة، ولطالما هزت هذه السورة المشاعر والعواطف

وحركت الضمائر، وهي تجول بنا في عالم الحياة الإنسانية بحوادثها ووقائعها ومشاعرها وعواطفها وأفكارها وعقائدها..

إنها تفتح أمامنا أفق القدر لنجعل إرادتنا من إرادة الله، منفذة لقضائه منسجمة مع غايات قدره التي هي الخير المحض، فنجمع بين الطاعة والإرادة والعمل والتفاؤل بالمستقبل، ذلك هو السبب الذي يجعل لسورة يوسف هوى خاصاً في نفوسنا، وهي تأخذ بعقولنا وقلوبنا نحو الله (محمد بن المبارك).

> إن سورة يوسف - عليه السلام - أسلوب فذ فريد في ألفاظها، وتعبيرها، وأدائها، وفي قصصها الممتع اللطيف، تسري مع النفس سريان الدم في العروق، وتجري برقتها وسلاستها في القلب جريان الروح في الجسد. (صفوة التفاسير)

> إن سورة يوسف - عليه السلام - وقصته، قد حظيت بالكثير من الكتابات والدراسات، منها ماتناول الجانب القصصي والفني، ومنها ما ركز على الجانب البلاغي والبياني، ومنها ما اهتم بالجانب النفسي، ومنها ما اقتصر على جانب التربية والعبرة، ومنها ما عبر عن القصة كلها شعراً، ومهما كتب الكتاب وسطر العلماء في فيض نور سورة يوسف - عليه السلام - وقصته، فلن يبلغوا من أسرارها إلا كما يبلغ الباحث عن أسرار المحيط وعجائبه، قليلاً من العلم عن أمواجه وشواطئه، فتبارك من قصها فأحسنها وبينها وجعلها منارة عالية للمهتدين.. تبارك الله رب العالمين.

«كلمة لجنة آسيا»

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين، وبعد

فهذا هو اللقاء الخامس للجنة آسيا مع الأخ فضيلة الشيخ عليش متولي، بعد أن التقينا معه في كتبه: (الضمير الديني وأثره في زيادة العمل والانتاج) و(حقيقة الجنس في الإسلام) و(عجائب الصدقات) و(موسوعة تفسير سورة يوسف - الميسرة -) وها نحن أولاء نلتقي معه في كتابه القيّم (موسوعة تفسير سورة يوسف) - الأم - في ثلاث مجلدات، وقد اعتكف على تأليفها أكثر من ثمان سنوات...

ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، كما نسأله جل ثناؤه أن يتقبل من الأخ المتبرع بقبول مبارك، وأن يخلف عليه في الدارين، إنه سميع مجيب.

وإن لجنة آسيا بدولة الكويت، ليشرفها أن تتقدم بهذا العمل الكبير الى الأمة الاسلامية في المشارق والمغارب، وإنا لنحمد الله تعالى ونشكره أن من بفضله على دولة الكويت، فجعلها مصدرا للخير والبر والرحمة والعون لسائر المسلمين، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

د/ عادل عبدالله الفلاح

مدير لجنة آسيا (دولة الكويت)

تقديم بقلم الدكتور سيد نوح

بسم الله، والحمد لله، والصَّلاة، والسَّلام على رسول الله محمد - ﷺ - وعلى آله، وأصحابه، والسالكين سبيله، والداعين بدعوته إلى يوم الدين، وبعد

ففي جوِّ المحنة، والشدة التي عاشها المسلمون في مكة أول مرة من: سجن إلى تعذيب إلى تجويع، إلى قتل، وتشريد، في هذا الجو سمع نفر من المسلمين عن قصة يوسف مع إخوته، ووالدهم من أهل الكتاب فطلبوا من النبي - ﷺ - أن يعرفهم بحقيقة هذه القصة، فنزلتْ سورة يوسف كاملة وهي تحمل في طياتها: المواساة، والتسلية لما نزل بهم من المحن والشدائد، وكأنها تقول لهم: لستم أول من امتحن، وابتلي، إذ هذا موكب طويل سار فيه الأنبياء والمرسلون من لدن آدم إلى محمد - ﷺ - ويوسف واخوته، ووالدهم ممن ساروا في هذا الموكب، وعليكم أن تصبروا وأن تتقوا إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، تأسيا بما صنَع يوسف - عليه السلام - ووالده، متمثلين مقولته: «إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» (يوسف: ٩٠).

كما أنها تحمل في طياتها: التبشير بالنصر، والتمكن، ولكنها تضعهم أمام مسئولية إدارة النصر. كأنها تقول لهم: ليس المهم تحقق النصر فإن ذلك سهل، وميسور، وإنما المهم الحفاظ على النصر إذا جاء وإدارته بصورة ترضي الله والرسول من الحفاظ على حرمة الدين، والدم، والعقل، والعرض، والمال...

وقد لفت ربُّ العزة النظر إلى ذلك حين ذكر في كتابه مقولة موسى لقومه: «عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (الأعراف: ١٢٩).

كما لفت النبي - ﷺ - النظر إليه حين قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟» قال عبد الرحمن بن عوف تقول كما أمرنا الله، قال رسول الله - ﷺ -:

«أو غير ذلك تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك،ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض»(١).

تضمنت سورة يوسف هذه الحقائق، وفسَّرها المفسرون والدعاة إلى الله كما فسَّروا غيرها من سور القرآن الكريم، وجاء تفسيرهم تفسيراً تحليليا لا موضوعيا حيث يعرضون سبب النزول، ومعاني المفردات والكلمات، والاعراب، والبلاغة، والمعنى الكلي مع الكشف عن المشكلات.

إما بالتأليف والتوفيق، وإما بالقول بالنسخ، وإما بالترجيح أو التوقف وكان الأمر بحاجة إلى دراسة موضوعية تبني على الدراسة التحليلية وتضع اليد على موطن العظمة، والعبرة، فيبقى القرآن الكريم كتاب الحياة في عصر نزوله، وبعد عصر نزوله إلى اليوم، وسيظل كذلك إلى يوم الدين.

وقد انبرى فضيلة الشيخ الجليل: عليش البنّي، فحقق للناس هذه الحاجة بعمل هذه الموسوعة المباركة: «موسوعة تفسير سورة يوسف - عليه السلام -» متوخيا فيها: التفسير التحليلي المتمثل في:

١ - النص القرآني للآية أو الآيات.

٢ - القراءات، وتوجيهها بما يفسر النص، ويشرحه، ويحليه، ويظهره، إذ القراءات من بين ما يستعان به في تفسير القرآن.

٣ - اللغة فقها، ودلالة، بما يبرز الجانب الأساسي في الإعجاز القرآني ألا وهو الإعجاز اللفظي والبلاغي.

٤ - الإعراب بما يكشف عن المعنى المراد، ويغلق الطريق على الاجتهادات المنحرفة، والباطلة.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الزهد والرقائق: باب منه ٤ / ٢٢٧٤-٢٢٧٥ رقم ٢٩٦٥ / ٧ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا بهذا اللفظ.

٥ - درء التعارض بين الآيات تارة بالتأليف، والتوفيق، وتارة بالنسخ، وتارة بالترجيح، وتارة بالتوقف، وهو بهذا إنما يفتح الباب أمام مَنْ يأتون بعده، فيدخلون على هذا التعارض ولعل الله يوفقهم إلى مخرج يرضاه لهم، كما يرضاه الرسول، والمؤمنون.

٦ - الشرح والبيان في أسلوب سهل ميسر جامع بين العلمي، والأدبي.

ثم يشفع ذلك كله بالتفسير الموضوعي، الذي يقدم القرآن كأنه وحدة موضوعية مترابطة تأخذ بعضها يحجز بعض، ثم يستخرج ما في طيات الآيات من دروس، وعظات، وعبر، وهذا هو المقصود الأسمى من تفسير سورة يوسف - عليه السلام -.

وإن ينس فلم ينس أن يلقى الضوء على القصص القرآني، مضمونه، خصائصه، أثره على الفرد، والجماعة ونصيب سورة يوسف من هذا القصص. وحسبه من ذلك: لفتُ النظر إلى أن القصص القرآني، لاسيما قصة يوسف - عليه السلام - خير دليل على صدق الرسول - ﷺ - في دعوى النبوة والرسالة.

قال تعالى: «ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ» (يوسف: ١٠٢).

وقد حلا له أن يقسمها إلى ثلاثة مشاهد:

الأول: من بيت يعقوب في فلسطين إلى بيت العزيز في مصر.

الثاني: من شماته النسوة بامرأة العزيز لكونها راودتْ فتاها عن نفسه إلى دخول إخوته مصر للمرة الثانية، ومعهم شقيق يوسف «بنامين» عليهما السلام.

الثالث: من دخول إخوته مصر للمرة الثانية إلى نهاية القصة والسورة

وقد اعتمد في كل ما قدّم التحقيق العلمي النزيه مع الاسترشاد بما كتبه المفسرون من قبل، مستخلصاً من الدروس والعبر ما يجعل السورة وكأنها تتنزل الآن، وهذا لعمري لا يستطيعه إلا عالم حبس نفسه على هذا الأمر، مستعينا بالله العزيز الحكيم

في عزيمة الشيخ عليش وصبره، أحسبه كذلك والله حسيبه، ولا أزكى على الله أحدا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم، وبارك على المبعوث رحمة للعالمين محمد - ﷺ - وعلى آله وأصحابه ومَنْ سار على دربه، ونهج نهجه، واستنّ بسنته إلى يوم الدين اللهم آمين.

وكتب

أ.د/السيد نوح

أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الكويت

فجر الخميس ١١ / ٢ / ١٤٢٥هـ

١ / ٤ / ٢٠٠٤م

كلمة فضيلة الشيخ السيد عبد المقصود محمد عسكر

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وصفوته من خلقه وحبيبه، ختم الله به الرسل وأتم به النعمة وأكمل الدين وجعله حجة على الخلق أجمعين، من آمن به نجا ومن كذّب به هلك مصداقاً لما رواه أبو هريرة من قول رسول الله - ﷺ -: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (رواه مسلم وأحمد وغيرهما).

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، ومن بهم اقتدى فاهتدى

وأما بعد، فإن القرآن الكريم مأدبة الله عز وجل، فيه الخير كله، وفيه النور كله، وفيه الهدى كله، حظى بصفات لم يحظ بها كتاب غيره فاستحق أن يكون المرجع والمهيمن على كل ما عداه من كتب. يقول الله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...» (المائدة: ٤٨).

وإذا كان الهدف الرئيسي من نزول القرآن الكريم على محمد - ﷺ - هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، فإن وسيلة القرآن الجامعة لتحقيق هذا الهدف هي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومناقشة الباحثين عن الحق بالتي هي أحسن. فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

وللدعوة إلى الله أساليب شتى وطرائق متعددة حفل بها القرآن الكريم، والقصة من أبرز هذه الأساليب وأهم تلك الطرائق، ولذا فقد خطيت بأكبر مساحة من القرآن الكريم لما هو معلوم من شدة تأثير القصة على عقل ووجدان القارئ والسامع فيستجيب لما تتضمنه من دروس وعبر، ويقتنع بما ترمي إليه من عقائد وأخلاق.

وكذلك لأن من طبيعة الإنسان أن يستجيب للتوجيه مقتديا بمن أحبه ويقلده في عمله وأن ينفر من سلوك طريق سلكه شخص يبغضه.

ولما كانت القصة من أقوى الوسائل التي يمكن بواسطتها تصوير المثل الأعلى المحبوب في صورة شخص يقتدى به في خلقه وعمله، أو تجسيد المثل المذموم في صورة شخص كريه يسلك سبيل الشر ويمضي في طريق الضلال حتى يصل إلى النهاية المحتومة، وهي البوار والهلاك.

لما كان هذا شأن الإنسان، وكان هذا شأن القصة بشخصياتها وأحداثها فإن القرآن الكريم - انطلاقاً من عنايته بشأن الإنسان هداية وإرشاداً وتوجيهاً - قد ركز على القصة تركيزاً كبيراً وعنى بها عناية فائقة.

ولقصص القرآن أغراض شتى عني بتفصيلها الباحثون. ومن أهمها ما يلي:

- إثبات صدق الرسول محمد - ﷺ - وأن ما جاء به هو الحق. وتثبيت قلبه - ﷺ - على الحق الذي أوحي إليه، وبيان أن العاقبة للمتقين، وذلك من خلال العرض الدقيق لما عاناة الأنبياء والسابقون وأتباعهم من أذى وتعذيب، وكيف أنهم صبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله الموعود.
- التعريف الصادق بأئمة الهدى من رسل الله، والتأكيد على وحدة الرسالة التي بعثوا بها وقد بلغوها لأقوامهم وهي رسالة التوحيد، وبيان أن الشرك بكل صورة قد تبرأ منه وحاربه كل الأنبياء والمرسلين.
- تعليم المسملين وترغيبهم في فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية الماثلة أماهم مصورة في قصص القرآن. وكذلك زجر المسلمين وتنفيرهم من الأخلاق الذميمة وتحذيرهم من فعلها، وحضّ المسيئين على التوبة والإنابة إلى الله. وذلك عن طريق عرض المثل الحية لشخصيات حقيقية مرت في التاريخ.

ومن إعجاز القرآن في هذا المجال أنه لم يجنح إلى الخيال في عرضه لأي قصةولم يذهب إلى اختراع شخصيات وهمية يستكمل بها المشهد أو يجمل بها الصورة.

وإنما التزم الصدق والدقة وفي الوقت نفسه كان في القمة التي لا تدانيها قمة أداء وتعبيراً، وروعة وتأثيراً، ودقة وتصويراً.

وأيضاً فإن للقصة في القرآن خصائص عدة ومميزات شتى. من أهمها ما يلي:

- البعد عن الحشو والزيادة.
- العمل على سمو الذوق الإنساني.
- الاهتمام بوضوح الأهداف والتركيز عليها - رغم تعددها - وصولا إلى الأغراض التي يريدها من القصة.

«والقصة - عموما - تكون حسنة بمقدار ما تجمع من خصائص ومزايا فنية وأدبية، وبمقدار ما تحتوي عليه من أهداف تربوية وتوجيهية، وبمقدار ما تحسن من عرض هذه الأهداف وتعمل على تحقيقها في حياة الناس وتطبيقها في المجتمع.

وقد يقول البعض: إن تحقيق ذلك يستعدى - بالضرورة - مزج الحقيقة بالخيال وخلط الواقع بالمثال، وإنه بدون ذلك لا يمكن أن تكون القصة شيقة مرغوبة، ومؤثرة وهادفة في آن واحد، وإنه من المستحيل أن تجمع قصة ما كل الخصائص والمزايا الفنية والجمالية في الوقت الذي تلتزم فيه بعرض الوقائع مجردة عن الإضافات المخترعة، وفي الوقت الذي تلتزم فيه بعرض الأشخاص كما هم بكل تصرفاتهم وأقوالهم وأحاسيسهم ومشاعرهم دون زيادة أو نقصان.

قد يقول البعض ذلك، وقد يكون محقا في قوله عندما يكون الأمر متعلقا بنا، وعندما يكون الحديث عن قدرتنا ومواهبنا، أما عندما يكون الأمر متعلقا بذات الله تعالى وقدرته وكانت القصة من كلام العليم الحكيم فهنا يكون الإعجاز، حيث تحوي القصة جميع الخصائص الفنية، وتجمع كل المزايا الجمالية. وتضم العديد من الأهداف الواضحة المحددة مع الالتزام الكامل بعرض الوقائع دون تزيد أو اختراع والحديث عن الأشخاص كما كانوا وذكر ما قالوا دون تقول أو ابتداع.

ولهذا كان القصص القرآني أحسن القصص،

وإذا كان باستطاعة الموهوبين من عباد الله أن يصنعوا قصصا حسنا فليس باستطاعة غير الله أن يصنع ذلك القصص الأحسن بتلك المواصفات التي ذكرنا بعضها آنفا «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» (النمل: ٨٨).

روى ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فنزلت «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين»[1] (يوسف: ٣).

وعلى هدى القرآن الكريم واتساقاً مع أهدافه وغاياته اتجه كثيرون من علماء الإسلام إلى تأليف المؤلفات وتدبيج المقالات. وتدوين المدونات حول القصة في القرآن الكريم.

وبعضهم أبى إلا أن يعطى القصة القرآنية حقها من الشرح والبيان. فلم يكتفوا بالكتب والمقالات فنهجوا نهج كتابة الموسوعات وأمهات الكتب.

ومن هؤلاء فضيلة الأخ العالم المحقق فضيلة الشيخ عليش متولي البنّي الذي اختار الله له أن يصاحب الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فيتأمل قصته كما جاءت في القرآن الكريم، ويقرأ بتمعن معظم ما كتبه العلماء حولها ويستخلص منها الدروس والعبر، ولا ينسى أن يقارن بين ما جاء من هذه القصة في القرآن الكريم، وبين ما جاء عنها في التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى ليظهر الفرق بين الثريا والثرى، بين الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبين كتاب تلاعبت به أيدي أصحابه فحرفوه وبدلوه كي يتفق مع أهوائهم.

وبعد هذه المقارنة الشاملة التي ذكرها المؤلف في البند الأول من الخاتمة، وما بعدها علق بما يلي: هذا ومن المقارنة السابقة بين آيات قصة يوسف - عليه السلام - في القرآن

---

(١) من كتابنا: القصص القرآني إقناع وإبداع ص: ١٤.